هذاك ألسنةُ البراع بها غدا يُروَى وذا بأوائلِ العمّالِ
منها البخارُ يديرها فتجرُّ اثـ ـقالاً وترفعُ اعظمَ الاثقالِ
فالبعضُ فوقَ اليمِّ تجرُ جاريا ـ ـتٍ[٤] وفي فيهِ اذا اعتبرتَ موالِ
والبعضُ تسبحُ في الفلا قُطُرًا[٥] فلا تبدو لها شكوى صدًى وكلالِ
والبعضُ في متنِ الهواء يسيرُ كالـ ـعطّادِ[٦] لا يخشى من الاهوالِ
وكذاك منها الكهرباء تنيلها ما كان لولاها عزيزَ منالِ
وعلى كلاكلِ النيل والبلينون من خبرِ الشهودِ واصدقِ الامثالِ
وانظر تجد خودَ التمدنِ منها تزهو بنمرط تأنُّقٍ وجمالِ
وترى مخدّرةَ الحضارةِ منها تختالُ في بردَي سنًى ودلالِ
وكذاك غايةُ الفلاحِ تجرُّ من ضافي التقدم اطولَ الاذيالِ
هذي مظاهرُ أحكمتْ يدُ ربها في غايةِ الاتقانِ والاكمالِ
ولديك ما يغني من المعقول عن سومِ الافاضةِ فيهِ والايغالِ
فعلى الذي يرجو النجاحَ ويبتغي ان يلتقي بتحقُّقِ الآمالِ
ان يرتدي بها[٧] ويكدح خالعًا ما للبطالةِ عنهُ من أسمالِ
يتلو "يريد" و"استطيع" فينجلي عنهُ ظلامُ اللهو والاهمالِ
والمستحيلُ لديهِ يُصبحُ ممكنًا والصعبُ يأتيهِ بأسهلِ حالِ

الرومان والتمدن

لجناب المرسيو جورج كسطليس

ان جادّة النجاح كثيرة العقاب وذلك متعارف لتعدّد الوقائع ونمائها فلا يُنال النجاح التامّ الاّ بالعناء التامّ "ودون اجتناء النحل ما جنت النحل". وحسبك بالتاريخ دليلاً فان التمدن الروماني لاقى في سبيلهِ موانع أيسرها تقف دونهُ الهمم لكن الثبات والاقدام على العظائم مهّدا تلك العقاب. اما ترى ان رومة كانت محشدًا للناس بأنوثها من كل فجٍ من كل لصٍّ او جانٍ خاف شريعة وطنهِ فلم يجد ملجأً غيرها فكثر اختلاف الناس بها وعلت وادركت من الاتساع شأوًا بعيدًا بزمنٍ قصير فاحاطها السادس من ملوكها بسورٍ يقيها هجمات اعدائها الكثيرين وكانت قد استولت على ما جاورها ومدّت سطوتها الى كثيرٍ من المدن الابطالية. على انها بينما كانت سائرةً صدمتها طوارق الدهر بان بُثّ فيها روح الحرب الداخلية وانتشر فظلّت في اضطرابها نحوًا

(٤) اي سفنًا (٥) جمع قطار اشارة الى سكة الحديد (٦) البلون

من جيل ظهر في خلالها كثير من الآداب الرومانية وفنون السياسة

وتلك الحرب وان لم تكن خالية من الاضرار لها الفضل بفتح ابواب المجد للرومان لان المسائل السياسية حياة الاقطار الحرة. فاكتسب الشعب منها الثبات ومعرفة حقائق الامور والحيل للمنافع العمومية حتى اذا حصل على الحرية والمساواة المدنية والسياسية عرف قدر ذاته فرسخت في قلبه محبة الوطن وما ينبوع الاعمال العظيمة الا محبة الوطن

لا جرم ان كثيراً من الدول التي نشأت قبل الرومان مدّت بساطها فوق كثير من الامم غير ان الامتداد الروماني لم يكن مضارعاً حتى عصرهم لا سيما وانهم بفتحهم البلاد كانوا لا يخوّلون انفسهم حقوق الفاتحين الا اذا قضت السياسة عليهم فكانوا بذلك يملون بالمسودين اليهم فلم تمض مدّة طويلة حتى صار العَلَم الروماني لا يخفق الا على روماني الدم والقلب. فكأن رومة لم تأخذ بيد اليونان الذين مع سيادتهم بالآداب لم يحسنوا السياسة ولم يكونوا الا ولايات لا تحسب الغريب عنها الا دنيّاً مرذولاً. وكل واحدة من سيارنة وانيتا وانيكا وغيرهنّ كانت للاخرى بالمرصاد تحين عليها الفرص للحرب ولذلك لم يكن لامد عزّهنّ طويلاً بخلاف الرومان فقد ثبتت دولتهم اثني عشر جيلاً وكانوا اذا فتحوا بلداً بذلوا الجهد في ايقاع العوائد والطباع الرومانية وقعاً رضياً باعين اهله حتى اذا آن الاوان واصبحت الدولة الرومانية من الشوكة والعزّ بحيث لا يقاوم سلطانها اضمحت في الدولة الخاضعة لعظمها الشعوب والدول

ولا ريب ان تمدن عصرنا الحاضر منبعث عن التمدن الروماني لان بقيّة هذا التمدن بين شرائع ومدارس ومؤلفات وغيرها كانت هي الجرثومة لغرس الحضارة الذي نراهُ اليوم يانعاً في الرياض الاوروبية والذي اتصل بنا بعض ثماره. فلو قامت الصعاب الجمة في سبيل تمام الحضارة الرومانية ولم تبلغ بها الى التمام بالنسبة الى تلك العصور بل لو طوى الدهر على آثار ذلك التمدن الجيد لانتفض اساس تمدن عصرنا بل ربما كنّا حتى اليوم نتلمّس في دجوره الجهالة لان اوربا لم تكن يومئذٍ على شيء من التمدن حتى اذا ولّت الاجيال المتوسطة وظهرت آثار التمدن الروماني تهافتت عليه تهافت الفراش وجنت منه ما طاب

نعم ان الرومان لم يزيدوا على ما اخذوهُ عمّن سلفهم من الآداب والفنون غير انهم عنوا بصون ما ورثوهُ والفضل لهم بذلك عظيم فكانوا مع امتطائهم صهوة التغلّب على اليونان يحترمون علومهم ولم يكن حسدهم لجهلهم على درس اثرها واقتلاع جرثومتها حتى اذا احتذى التمدن الروماني تمدن اليونان ورشحت عروق المتمدنين نتج من ذلك تمدن اعظم. فلو لم يعنِ الرومان بآداب اليونان عناية كبرى لكان دُرِس اثر بعضها ونسي البعض الآخر ودُثر كما حدث بآداب افريقية

وفيثية واواسط اسيا وحسبك بها صفقة خاسرة فلقد اصبحت هذه الاقطار بثابة غيرها ولم يبقَ بها الاَّ القليل من آثار تمدنها السابق حتى لو افتقدها الباحث وساءلها عن الاجيال والامم الغابرة لما أجيب ولا يرجع صدىً. فللرومان اذًا فضل عظيم على الاجيال المتأخرة اذ خالفوا سنن السابقين وعوائدهم فلم تدثر آداب الامم التي تغلبوا عليها بدثورها بل كانوا يجددون في تمهيدها وتوسيع نطاقها الامر الذي جعلها تدوم على وتيرةٍ واحدة ومنهاج مستمر حتى اذا اكتسبوا من كل قطر علمًا ومن كل مصرٍ فنًّا اضحى تمدنهم اتمَّ واسمى فاصبحت بذلك دولتهم اشد شوكةً واعز انصارًا. والحقُّ يقال ان للرومان مزيدات حجَّة في التمدن فان لم نعدد من تميَّز منهم في علوم الشعر والتاريخ والآداب وغيرها زعمًا بانهم اشهر من نارٍ على علم ولم ننظر الاَّ اولئك الفقهاء الاولى لم يأخذوا شيئًا عمَّن سلفهم لاقربنا بفضل الرومان فورًا وعلى اصحق العلم ان لم يدًا كبرى في جعل تمدن الاقدمين اشد رسوخًا وان لولاهم لما اتصل للقرون الحديثة اشعة التمدن بعد غباوة الاجيال المتوسطة وليلها الحالك. فهذه سياسة الرومان في ادارة البلاد والاقطار صارت منها حجة للاعقاب مثالاً وهذه مبادئهم اتخذها القوم حتى اليوم دستورًا تجري عليه الدول ترسيخًا لتمدنها وحفظًا لرغدها. نعم ان من سلاطين الرومان من كانت طباعهُ مضادة لتقدم الدولة وتمدنها لو لم تكن من الاتساع والعظمة بحيث لا تؤثر فيها افعال رجل واحد الاَّ ان ذلك كان غير عام فيهم بحيث ان لسلاطين الرومان تاريخين الاول ينبي عن افعالهم بالنظر الى كبار الرومان وهو يكاد يكون معروفًا من الجميع والثاني تاريخ جدِّهم واجتهادهم في تمدن السلطنة وتقدمها فعلى من اراد البحث عن حياة اولئك السلاطين ان يحقق النظر في كلا التاريخين اذ لو ترك الواحد منها ولم يستوعب سوى اخبار الآخر لوقع بحكمٍ في مهواةٍ من الغلط

على انهُ ليس من شأن الاحوال الدوام على منهاج واحد وما التمدن بمانع راهن لوقوع الخوارق فبعد ان اصبح الرومان من القوة والتمدن بحيث لا يطمع احدٌ في انتزاع امرهم انغمسوا في النعيم انغماسًا وميلاً حتى اذا استناموا الى اسوارهم ومحصناتهم دهمهم الزمان ولم يكن من مجرضهم على دهمه فسقطوا وسقط التمدن بسقوطهم والاَّ لبلغ المنتهى الاقصى. ولكن لما كان التمدن من الرسوخ بأبان السلطنة الرومانية بحيث لا تدرس آثارهُ لحينها كان من المنتظر ارتفاعهُ بعد سقوطه فما لبث مخبَّاحتى ظهر بعد مضي الاجيال المتوسطة وبلغ درجة عليا لم يطمع الاقدمون في درکها. ولرجال عصورنا الفضل في ذلك وللرومان الاثر البعيد اذ لو سقط التمدن وهو على ما تركهُ اليونان لكان سقوطه اكثر وبالاً ولو دامت الاجيال المتوسطة لبني سافطًا مهانًا فنتيجة الامر ان مسألة تمدننا طباق المبدإ الروماني على الراي الحالي